

وسنته وجاهد عدوه . وأظهر بها دينه الى أن توفاه الله عز وجل . وأنها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة . وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت في تلك العرصة . وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم *

كتاب آداب تلاوة القرآن

قد امتن الله على عباده بنبيه المرسل . وكتابه المنزل . الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى اتسع على أهل الأفكار . طريق الاعتبار . بما فيه من القصص والأخبار . واتضح به سلوك المنهج القويم . والصرط المستقيم . بما فصل فيه من الأحكام . وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور . وبه النجاة من الغرور . وفيه شفاء لما في الصدور . من تمسك به فقد هُدي . ومن عمل به فقد فاز قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون) ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه . والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة . وذلك ما لا بد من بيانه وتفصيله *

﴿ فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته ﴾

قال صلى الله عليه وسلم (من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغراً ما عظمه الله تعالى) وقال صلى الله عليه

وسلم (أفضلُ عبادة أمتي تلاوة القرآن) وقال صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وقال ابن مسعود : إذا أردتم العلم فانتمروا القرآن فان فيه علم الأولين والآخريين . وقال عمرو بن العاص : من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه *

وقد جاء في ذم تلاوة الغافلين قوله صلى الله عليه وسلم (ما آمن بالقرآن من استحل محارمه) وقوله صلى الله عليه وسلم (اقرأ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فلست تقرأه) وقال أنس (رب نال للقرآن والقرآن يلغنه) وقال ابن مسعود : أنزل القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً ان أحدهم ليقرأ القرآن من فليحتمه الى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به) وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول (ألا لعنة الله على الظالمين) وهو ظالم نفسه (ألا لعنة الله على الكاذبين) وهو منهم *

﴿ ظاهر آداب التلاوة ﴾

(الأدب الأول في حال القارئ) وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبلاً القبلة مطرقاً رأسه غير متربع ولا متكي ولا جالساً على هيئة التكبر . فان قرأ على غير وضوء أو كان مضطجماً في الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض) فأثني على الكل ولكن قدّم القيام في الذكر

ثم القعود ثم الذكر مضطجماً *

(الثاني في مقدار القراءة) وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار والمأثور عن عثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم انهم كانوا يختمون القرآن في كل جمعة يقسمونه سبعة أحزاب *

(الثالث الترتيل) هو المستحب في هيئة القرآن لأننا سنبين أن المقصود من القراءة التذكر . والترتيل معين عليه ولذلك نعتت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هي نعتت قراءته مفسرة حرفاً حرفاً . قال ابن عباس رضي الله عنهما لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرها أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة . وجليّ أن الترتيل والتؤدة أقرب إلى التوقير والاحترام وأشدّ تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال *

(الرابع البكاء) وهو مستحب مع القراءة ومنشؤه الحزن وذلك أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجه فيحزن لا محالة ويبكي *

(الخامس) أن يراعى حق الآيات فإذا مرّ بآية سجدة سجد وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي . ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة . وقد قيل في كمالها إنه يكبر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم *

(السادس) أن يقول في مبتدأ قراءته أعوذ بالله السميع العليم من

الشیطان الرجیم . وفي أثناء القراءة إذا مرّ بآية تسييح سمّح وكبر . وإذا مرّ بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر . وإن مرّ بمرجوّ سأل أو بمخوف استعاذ .
يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه *

(السابع) الأسرار بالقراءة أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه . فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش على مصّل فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر . ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه . ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت ويزيد في نشاطه للقراءة ويقال من كسله . فتي حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل *

(الثامن) تحسين القراءة وترتيبها من غير تعطيط مفراط يغيّر النظم .

فذلك سنة . وفي الحديث (زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ) وفي آخر (ليس منّا من لم يتننّ بالقرآن) فقيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الألقان به وهو أقرب عند أهل اللغة . واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال (لقد أوتى هذا من مزامير آل داود) ويروى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن *

﴿ أعمال الباطن في التلاوة — وهي سبعة ﴾

(الأوّل) فهم عظمة الكلام رعاهه وفضل الله سبحانه وتعالى واطمئنه بخلقه في إيصال كلامه الى أفهام خلقه *

(الثاني) التعظيم المتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن

يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر . ولن يحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله . فاذا حضر بياله العرش والكرسي والسهوات والارض وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد . وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته . وبين نعمته وسطوته . ان أنعم فبفضله . وان عاقب فبعذابه . فبالمتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام *

(الثالث) حضور القلب وترك حديث النفس والتجرد له عند قراءته وصرف الهم اليه عن غيره . كان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية . وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه ويستبشر به ويستأنس لا يفغل عنه . وفي القرآن ما يستأنس به القلب ان كان التالي أهلاله فكيف يطلب الانس بالمتفكر في غيره *

(الرابع) التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غيره القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره . والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سنّ فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لاخير في عبادة لافقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر إلا بتريده فاليردد إلا أن يكون خلف امام . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلة بآية يرددوها *

(الخامس) التفهم وهو أن يستوضح عن كل آية ما يليق بها إذ القرآن

يشتمل على ذكر صفات الله عزّ وجلّ وذكر أفعاله . وذكر أحوال الأنبياء وأحوال المكذبين لهم وانهم كيف أهلكوا . وذكر أوامره وزواجره . وذكر الجنة والنار . أما صفات الله عزّ وجلّ فكقوله (ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وكقوله تعالى (الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ) فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها . وأما أفعاله تعالى فكذكره خالق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عزّ وجلّ وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته . فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه فى كل شىء . ولهذا ينبغى إذا قرأ التالى قوله عزّ وجلّ (أفرأيتم ما تَحْرُثُونَ . أفرأيتم ما تُمْنُونَ . أفرأيتم الماء الذى تَشْرَبُونَ . أفرأيتم النار التى تُورُونَ) فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب . وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها . ثم الى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها الى أعجب العجائب وهو الصنعة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة

ويرى الصانع . وأما أحوال الانبياء عليهم السلام فإذا سمع منها أنهم كذبوا وضربوا وقتل بعضهم ثم سمع نصرتهم في آخر الأمر فهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق . وأما أحوال المكذابين كهاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمة وليكن حفظه منه الاعتبار في نفسه *

(السادس) التخلي عن موانع الفهم فإن أكثر الناس منعوا عن فهم القرآن لأسباب وحجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فهميت عليهم عجائب أسرار القرآن . ومن حجب الفهم أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف باخراجها عن مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل . فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف يخيل اليهم أنه لم يخرج من مخرجه . فهذا يكون تأمله مقصوداً على مخارج الحروف فأني تنكشف له المعاني . وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس *

(السابع التخصيص) وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فإن سمع أمراً أو نهياً قدّر أنه المنهى والمأمور وإن سمع وعداً أو وعيداً فكذلك وإن سمع قصص الأولين والانبياء وعلم أن السمر غير مقصود . وإنما المقصود أن تعتبر به وتأخذ من بضاعته ما تحتاج إليه . فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمة . ولذلك قال تعالى (ما نُنبئتُ بهِ فُؤادك) فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه

عليه من أحوال الانبياء وصبرهم على الأذى وثباتهم في الدين لا تنظار نصر الله تعالى . وكيف لا يقدر هذا القرآن ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين . ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد كما قال تعالى (لا نذركم به ومن بلغ) قال محمد القرظي : من بلغه القرآن فكانما كلمه الله : وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرأه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه . ولذلك قال بعض العلماء : هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بهوده نتدبرها في الصلوات وننفذها في الطاعات *
(الثامن التأثر) وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره . ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن . فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر المعارف عن نيلها كقوله عز وجل (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ) ثم اتبع ذلك بأربعة شروط (لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) وقوله تعالى (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) ذكر أربعة شروط . وحيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً فقال تعالى (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)

فالأحسان يجمع الكل . وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره وودن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن . والا كان حظه من التلاوة حركة لسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) وفي قوله تعالى (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) وفي قوله (فَأَعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) وفي قوله تعالى (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) إلى غير ذلك من الآيات . فالقرآن يراد للعمل به وأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى . وتلاوة القرآن حق تلاوته . هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحفظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل - وحفظ العقل تفسير المعاني - وحفظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار . فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ *

كتاب الأذكار والدعوات

* فضيلة الذكر *

من الآيات قوله سبحانه تعالى (فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) وقال تعالى (أذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) وقال تعالى (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) وقال تعالى (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ) وقال ابن عباس أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى